

التفسير المختصر - سورة النور (٢٤) - الدرس (١٠-٠٩) : تفسير الآيات ٤٧ - ٥٢ ،  
ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٧-٠١

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا  
إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا  
الحق حقاً وارزقنا اتّباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول  
فيتّبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الأخوة الكرام، فالآية السابعة والأربعون من سورة النور وهي قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ

بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

[سورة النور]

يتولّى عن طاعة الله ويتولّى عن قبول الحق، ويتولّى عن نصرّة النبي عليه الصلاة والسلام فهذا  
الإنسان كلامه مخالف لفعله، لذلك الله جلّ جلاله يقول:

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

[سورة النور]

الآن قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨)﴾

[سورة النور]

هذه الآية من أدقّ الآيات، وسوف نوضّحها بمثل ؛ فلانّ من الناس له قضيّة مع شخص، وينحلّ  
عند العلماء حصراً، بيت مؤجّر، فالقانون ليس من جانبيه، ويقول لك: أريد حكم الشرع ! إنسان  
مسلم وورع وتقي لا يريد إلا حكم الشرع، لأنّ له حاسة سادسة أنّ هذه القضية لا تحلّ إلا  
بالقضاء، ولا بالقانون، فقانون الإيجار ليس بجانبه، والمستأجر موظّف ومحمي هو وأولاده، ولا  
يوجد إلا طريق العلماء، فهذا المؤجّر لما يرى أنّ القضية لا تحلّ عند القانون ولا عند القاضي ؛  
حينها يأتي عند العلماء ليسألهم في حكم الله في هذا الموضوع، وإذا خصم على إنسان مائة ألف  
على إنسان في الجمر، يقول لك: سوف أبلغ !! لماذا لم تسأل العلماء بالموضوع الثاني !!؟  
فالإنسان له حاسة سادسة ؛ وهي أين يحلّ موضوعي ؟ إذا القانون بجانبه، يلجأ إلى القانون، وإذا  
الشرع بجانبه يلجأ إلى الشرع ! فهذه المواقف المزدوجة، وهذه الثنائية، تارة حكم قضائي وتارة  
حكماً شرعياً، ومرّة محامي، فهذا الموقف هو موقف المنافقين، وهذا الموقف ليس من أخلاق  
المؤمن، قال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ  
بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

[سورة النور]

فهؤلاء كاذبون، فمادام تولوا عن طاعة الله، وعن نصرته الحق، وعن الأنصواء تحت لواء الإسلام، قال تعالى:

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة النور]

فقوله إلى الله أي إلى قرآنه وإذا رسوله أي سنته، تجذ حكم الشرع واضح؛ للذكر مثل حظ الأنثيين، يقول لك: لا نعطي البنات، فهذا المال يصل إلى الأجنبي، وإلى الأصهار، قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨)﴾

[سورة النور]

يعرضون عن الله ورسوله، قال تعالى:

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩)﴾

[سورة النور]

إن يكن لهم الحق بالدين يأتي إلى الله ورسوله مذعنا إن علم أن قضيتة تحل عندهما، أما إن لم تحل مشكلته بالدين يعرض عن الله ورسوله! هذه هي الأزواجية بالمقاييس، والله لو مشى الإنسان من دون ثياب في الطريق - والإنسان بشع بهذه الحالة - أفضل من هذه الأزواجية! وأهون من أن يحتكم تارة إلى الشرع وتارة إلى القانون.

إن كنت توفن أنك مسلماً فما عليك إلا أن تحتكم إلى الشرع، وإن كنت علمانياً أو ملجداً، فهذا هو القانون، وتجده يتفلسف، فالتحسس للمواضع التي تحل فيه قضيتة هذا موقف المنافقين، فأنت كمسلم تلجأ إلى الشرع في كل القضايا، أما أن تكون مرة للقانون وأخرى للشرع فهذا التقل هو سبيل المنافقين، فالمنافقون مذنبين بين ذلك.

وتكاد تكون هذه الآية وحيدة في القرآن، ولا يوجد غيرها، فهي تبين أزواجية المقاييس، قال تعالى:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ

الظالمون (٥٠)﴾

[سورة النور]

من هم المؤمنون ؟ قال تعالى:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾

[سورة النور]

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ  
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)﴾

[سورة الأحزاب]

فإنه عز وجل قضى في القرآن أن للذكر مثل حظ الأنثيين، فالذي له رأي آخر بحرمان البنات فهذا ليس مؤمناً، لأن الله قضى في هذا الموضوع قضاءً واضحاً فكل من أبى الشرع، والانصواء تحته، فليس مؤمناً قال تعالى:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾

[سورة النور]

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾

[سورة النور]

فأنت عبد الله عز وجل، وأنت لك شرع من عند خالق السماوات والأرض شرع كما قال أحد العلماء: الشريعة عدلٌ كلها ورحمةٌ كلها و مصلحةٌ كلها، فأية قضية خرجت من العدل إلى الجور و من المصلحة إلى المفسدة و من الرحمة إلى خلافها فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل،

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:  
( ( إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكُلَّ وَكَدَيْكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ  
هَذَا فَقَالَ لَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْجِعْهُ ))

[رواه البخاري]

هذا كلام النبي، فالمؤمن كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)﴾

[سورة النور]

فعلامه المؤمن، هذا الشيء ليس لك، هذه الآية وهذا الحديث، وهذا الشيء لك هذه الآية و هذا الحديث، هذا المهر لابنتك و هذا الطلاق غير جائز، المؤمن الصادق ينضوي تحت الشرع، قال تعالى:

## ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾

[سورة النور]

فأنت الفوز عندك ما مقياسه ؟ مع مال طائلٌ و لك بيتٌ نزعته من صاحبه قهراً، لست فائزاً، عند القانون فائز ولكنك عند الله خاسرٌ.

أحد الأخوة الكرام تاجر، أخذ محضراً بمركز استراتيجي في المدينة قال لي: أصلحني الله، بأسلوب ذكي المحضر على الشئوع، خمسة أشخاص لصالح واحد، رفعنا السعر حتى استقر على سعر يساوي نصف قيمته، وفيه أيتامٌ و بعد ما فاز بالمحضر وصار ملكاً له و شعر بنشوة جاء إليّ فقال لي: أنا متضايقٌ، قلت لماذا ؟ قال: أخذت المحضر بهذه الطريقة، فقلت له، لا تنس القبر و الموت و الحساب، و أصحاب هذا المحضر أيتامٌ و قُصّرٌ و أنت أخذته بأسلوب غير شرعي بنصف قيمته قال: ما العمل ؟ قلت: أمامك حلان، إما أن تتسحب من هذا المحضر أو تدفع لأصحابه القيمة الكاملة، فقال: انسحبت، هذا هو المؤمن، فانظر حكم الله، هناك ألف قضية القانون معك فيها، لكن لا بد لك من حكم الله لأنك لن تنجو من الله، يا أويس، إن لك قرينا يُدفن معك وهو حي، و تدفن معه و أنت ميتٌ فإن كان كريماً أكرمك و إن كان لئيماً أسلمك، ألا وهو عملك و القبر صندوق العمل:

### الدنيا ساعة فاجعلها طاعةً و النفس طماعةً عودها القناعة

\*\*\*

أيها الأخوة الكرام، أرجو الله جل جلاله أمام كل موقف هيئ جواباً لله تعالى، وأمام كل عطاء، وأمام كل ابتسامة، وقبل أن تُعطي، وقبل أن تأخذ، وقبل أن ترضى، وقبل أن تتزوج أو تطلق، وقبل أن تصل أو تقطع، فالآيات دقيقة جداً، ولا تستعمل مقاييسين، بل مقياس الشرع أقسم لي واحد أنه قدم لورثة عشرين مليون ليرة ولا يملكون أيّ وصلٍ ولا علم أن هذا المال معي ؛ هذا هو الشرع وهذه هي الأمانة.

هذه الآية تُبين مرضاً خطيراً، وهو مرض الازدواجية، ومرض استخدام مقاييس مزدوجة، ومرض البحث عن المصلحة، ثم هؤلاء الأقوياء لما استخدموا مقاييسين حقرهم الناس.

### والحمد لله رب العالمين